امين نخلة شاعر كبير وكاتب اكبر ، ومع ذلك يعتمد كثيراً على الدعاية في ترويج بضاعته ، فهو وسعيد عقل في هذا اخوان ، كلاهما يفوق الاميركان في الاعلان . فاذا صح وجود برج عاجي للشعراء والادباء ، فلا شك أن ذاك البرج في بيت امين ومكتب امين ؛ بل في كل مكان تطأه رجل امين اذ لا بد لهذا القمر من هالة حيث يطلع .

ان هذه العنجهية اتصلت اليه بالارث ، فهو ابن أب شاء ان يتزعم فاستطاع وأتته الزعامة منقادة. وهو ابن محيط مغلال ، بُتزرع فيه حبة الاستقراطية فتعطي الفاً لا مئة ... نشأ الاستاذ امين على ما كان عوّده ابوه ، فخرج فوق ابيه ، كما قال الجاحظ في وصف ابن احد بخلائه العبقريين .

وها هو امين يرسل في السوق ديواناً سماه (دفتر الغزل) كما سمى الجاحظ من قبل دفتر المعلمين . والغزل شيخ السفرة في ادبنا العربي ، او «الهوزدوفر» بلغة العصر . فاي شاعر ما تغزل . كلهم قد قالوا الغزل . ولماذا لا ، فهذه التوراة ، وهي كتاب مقدس ، فيها مأدبة غزل اشبعت الذرية ولا تزال . فسليمان الحكيم يصف حبيبته الشولمية من عينيها الى سرتها ولا ينسى دوائر فخذيها وما بينهما من صبرة حنطة يسيجها السوسن ... اللهم نجنا من اكل الدجاج والوقوع في السياج ...

الغزل لغة الحب ، وداود ابو سليمان يرثي يوناثان في اول فصل من سفر الملوك الثاني فيقول ، وكأنه ينسب ويتغزل : قد ضاق ذرعي عليك يا اخي يوناثان . لقد كنت شهياً الي جداً وكان حبك عندي اولى من حب النساء وقد احببتك حب ام لابنها الوحيد ...

اجل لقد بشمت ثعالب البشرية وما فنيت العناقيد ، ولا بدع ، فالحب ملاك الحياة . وجد لحفظ النوع فهو لا يفنى الا بفناء هذا الكون ، وهو اذا شاخ مع الفرد فان نواته لا تموت ابداً.

وبعد فلنؤدِّ حساباً عن كلمة سبقت اي عن الدعاية عند امين الشاعر الطيب المبدع . صدّر امين (دفتر الغزل) بدعاوتين ، واحدة عربية والاخرى يونانية ، فكأنه اراد الشهادة فيه شرقية غربية .

قال بولس الرسول : على فم شاهدين او ثلاثة تقوم كل كلمة كما قلت سابقاً ، وهذا بابا دي ياناقوس يوناني كمار بولس ، فلا شك ان شهادته مقبولة ، وكذلك احمد شوقي ، فهو كما يزعم عربي تركي يوناني شركسي بجده لابيه وامير شعراء فهو مقبول الشهادة ايضاً . ناهيك ان امين نخلة هو كالمسيح اواعظم وسيأتيك الخبر — قال المسيح : انا اشهد لنفسي وابي الذي في السماء يشهد لي . اذن اجتمع لدينا اربع شهادات . ولم يبق علينا الا ان نبدأ المحاكمة .

نودي على الشاهد الاول شوقي ، وبسبب غيابه غيبة لا رجعة بعدها ، نظر فيما كتب :

هذا وليٌّ لعهدي وقيّم الشعر بعدي

ترى من قال لشوقي اننا نعترف بولايته حتى ينصب ولي عهد ، فكل شيء يورث إلا العلم . ومتى كان الشعر وقف ذرية حتى نجعل له قيّما ؟ فليت الصديق اميناً الذي لا أشك في امانته الادبية خبأ هذه الوريقة الشوقية وحفظها للعزيز سعيد ، حرسه الله ، مع ما يحفظ من وثائق ... انها لا تحله في اعيننا محلًا ارفع مما له عندنا. وهي من جهة اخرى تدل على قلة كياسة شوقي التي عبر عنها في هذا البيت التالي :

فكل من قال شعراً في الناس عبد لعبدي

هذا كلام رجل لا اجد له نعتاً والاشبه عندي ان العمر هو الذي انطق احمد شوقي ، في غير ساعة رضا بهذا الهذيان والهذر .

اصدق شوقي انه امير والشعراء عبيد ، حتى يكونوا جميعاً عبيد عبده ؟ انا لا اشك بامانة امين، كما قلت ، ولذلك كلت اللوم للشاعر المجنون الذي اطراه الشعراء وعظموه وامّروه حتى تعنفص وتفايش .

وفي ثالث بيت يقول شوقي ايضاً :

كأن شعر امين من نفح بانٍ ورند

قلت لا شك ان شعر امين ذكي الرائحة له طعم غير طعم الشعر . ولكن اختلاف الطعوم ليس حكماً بالاولية والاسبقية وولاية العهد ... ان مصر بلد الشاعر شوقي نفت الملك وولاية عهده ، بينا نرى شاعرنا الامين يريد بسط جناح ملكه على العالم العربي بكلمة من شوقي ... ويقول شوقي ايضاً :

او من عناق التصـــابي وقرع خد بخد
او من حديث ابن هاني يعيد فيه ويبدي

يظهر ان هذا البيت الاخير هو الذي أوحى الى امـــين بقصيدة (ام موسى) ليعيد ويبدي كابي نواس ، ويكون عند ظن شوقي فيه. كما يقول شوقي . وسننظر في هذه القصيدة حين نصل اليها ، لنريك ان الظرف طبع لا تطبع .

ويختم شوقي قصيدته بقوله :

والعصر عصر (امين) خير ومطلع سعد

وهذه ايضاً ثخينة يا امين ، اعرفك رجل دعاية ، ولكن ما كنت احسب انك تشتط بهذا المقدار .

واذا قلبنا الورقة من هذا الدفتر — دفتر الغزل — وقعت عيننا على قصيدة يونانية للاستاذ بابا دي با ناقوس .

جاد امين على بابا دي با ناقوس بلقب شاعر اليونان ، ولا اعرف اليونانية لارى ما خلـع شاعر اليونان هذا على امين من ألقاب . لابد من ان امينا هز بجذع النخلة حتى تساقط رطبا جنيا ، والا لما ذاق هذا (القرط) من ثمارها ...

حقا انها مصيبة ، فانا لا اعرف اليونانية ، ولا وصول لي الى الدكتور طه حسين ليترجم لي هذه الابيات . اما تلقيب بابا باناقوس بشاعر اليونان فاظنـه مثل تلقيب ذاك التاجر ابا الفتـح بصاحب الدولة ، في مضيرية بديـع الزمان ، ولكني اعتقد في كل حال ان هذا الشاعر اليوناني يحـــترم نفسه ولا ينزل في (المغطس) الذي تنعم فيه شوقي وانعم .

يظهر ان امين يفهم اليونانية ولكنه تواضعاً لم يترجم لنـا ابيات با ناقوس ... والا لما قال في المقدمة في وصف غزل الشاعر اليوناني : « ولا رقة في الغزل وراءه »

اما شوقي فـكان حظه ضئيلا جداً من مقدمة امين مـع انه جعله ملـكا على الشعراء بعده . ويختم امين مقدمته الحلوة الطريفة بهذه العبارة :

(وهكذا فانه قد اجتمع لهذا الكتاب ، بفضل منك ، وفضل من صاحبك — اي بابا وشوقي — ما لم يجتمع لكتاب: يد يونانية فوق يد عربية .)

قال المسيح : من منكم اذا اهتم يقدر ان يزيد على قامته ذراعا... وانا اقول لصديقي امين لو قام هوميروس وفرجيل، واعاظم شعراء الدنيا ، وكتبوا ما كتبه لك شوقي لما زادوا على قامة شعرك قيراطاً واحداً . انت شاعر مجيد ولكن هذه البراءات هي كالتي عندي وعند ابيك ، لا تنفع شيئاً ، متى وقفت في محكمة التاريخ حافياً عرياناً مجردا من كل مجد باطل.

اما الان فلنمر مرة عجلى في ديوان الاستاذ ، عفواً ، في دفتر غزله وإن اشبه افعال المقاربة في التسمية ...

ان شاعرنا الامين لشاعر محكك وربما ظل يفتش عن كلمة من الحول الى الحول . هو كاهن فن مولـع بالكلمات فيعقد بينها برباط مقدس فيكون زواجا مباركا لا يعقبه طلاق ، وله ميل يشبه الهوس الى كلمات دون غيرها ، وكثيرا ما يقعدها غصبا عن رقبتها في المـكان الذي يشاءه لها . لقد انبأنا في اخر دفتره هذا ان ليس من عادته ان يرسل الشعر كما يجيء ، ولهذا نرى معظم قصائده قصيرة النفس محكمة النسج . اظن ان ارستقراطية الاستاذ لا ترخص له بترقيق حواشي العبـــارة واللجوء الى الصور التي يتطلبها الغزل ، ليفهم عنه الحبيب . فهو يهبط في غزله من عل ، فلا تظهر الحرقة فيه كما تظهر ، مثـلا في شعر بشارة الخوري . انه لا يخاطب من العليقى كرب موسى بل يؤثر الطور . يطوف في الاثير ، حـــتى يموج هواه في آه المغني ، واذا كان المسيـح مشى على الماء ، فأمين يمشي مـــع الصوت ، ولكن ببطء السلحفاة ، وهذه معجزة اعظم .

قال البهاء زهير لاحبابه :

فلو صدق الحب الذي تدعونه واخلصتم فيه مشيتم على الماء

الا تراه لو كان في (عصر امين) الذي بشر به شوقي ، كان قال ، كما قال امين :

ففي النغم العميق اليك امشي واسلك جانب الوتر المرن

ان قصيدة (الحبيب الاول) هذه تستحق الجلوس حيث احلها امين على الرحب والسعة ، في صدر الدفتر ، وان كنت ارى قصيدة (العقد الطويل) اقرب منها الى الشعر المطبوع. والغزل حتى يبلغ قرارة النفس يجب ان يكون ألين من شعر امين . فامين مثلا يرى حبه وحب حبيبه نعيماً ، بينا يراه بشارة الحوري نارا آكلة :

فحرقنا نفوسنا في جحيم من القبل

يظهر ان بشارة من اصحاب (ابجد هوز حطي) ، اما امين فيحوم ويحوم ، ومن صبر نال ومن لج كفر .

ولعل قصيدة العقد الطويل والقصيدة السوداء ، وان كانت صاحبتها جنة ماشية لا معلقة ، هما في نظري خير من قصيدة الحبيب الاول التي تصلح اكثر منها للانشاد والغناء .

اما في قصيدة الاشرفية ، فلأجل كلمة ، (اختها) التي ارادها امين قافية رأيته يحط من قدر الجمال حين فضل نكهة العنب عليه فقال :

ذقت الثمار ونكهة ان لم تكن هي نكهة العنب الشهي فاختها

وبعد ، فمن يدري فلعل امين نخلة عنّاب ، او انه يغمز ابن الفارض من بعيد ...

واذا بلغنا (بئر السامرية) وضعنا عصيّ الحاضر المتخيّم. كما قال زهير . ان الآبار واحات ، ولعل سامرية امين احدى واحات ديوانه ، بل واحة الشعر الحديث ، ومع ذلك لا بد من قول شيء لتعود حليمة الى عادتها القديمة . استهل امين هذه القصيدة بقوله :

شرب المسيح فما لها لا تشرب والبئر سقسقة وماء طيب

أتتعجب يا اخي امين كيف لم تشرب ؟ يظهر ان بنت الحلال لم تكن عطشانة ... الماء ليس خمرا ولا عرقا ليتعاطيا على خرزة البئر . اما قدم لها المسيح ماء لا يعطش من يشرب منه ؟ يقول المثل عندنا : الماء لا يمر على عطشان وصاحبتنا السامرية جرتها على كتفها .. فلو كانت عطشانة لشربت . اما البئر فيظهر انك لم ترها . انها عميقة جدا ، لا (سقسقة) فيها. عندما اراد الكاهن القيم على ذلك المكان ان يرينا عمق بئر يعقوب ، اضاء شمعا واسقطها الى حمام الماء .

وبعد ، فلماذا استحليت يا امين كلمة مقدمة !! العهد بك لغوي من الطراز العالي . كيف لم تشك بفصاحتها حين احللتها المحل الارفع ، أي في مطلع قصيدتك ؟! رايتك تقول في تحل العذر لكلمة (شلاّل) : ولا حرج في ان يقال شلّ السيل او النهر ماءه فهو شلال ، وان لم يرد في متن اللغة . فان العرب تقول : شلّت العين دمعها ارسلته — والعربية كما لا يخفى يقع فيها النقل لادنى ملابسة .

طيب . فماذا تقول في سقسقة ؟ فاذا كنت تعني سقسقة نهر الباروك وغيره ، كما تقول العامة ، فبئر ابينا يعقوب ، كما قلت لك ، ليس بنبع خرار ولا جدول ثرثار . واذا كنت تعني غير ذلك فيا ليت شعري ما هو ... فهذا الحرف سق ، وسفسق وسقسق لا تعني اجلك الله ، الا ذرق الطير ، ولذلك قالت العرب : هذا كلام يذرق عليه .

هنا اسمح لي ان انتقل الى لفظة ثانية من هذه البضاعة ، وهي قولك :

انا في رحاب السامرية واقفٌ ظمآن باسم الناصري اتبتب

فتب الرجل معناتها شاخ . ولو قلت : اطبطب كان لنا مخرج منها ومعتصر ، كما قال الاخطل الكبير . فمعنى طبطب اليعقوب - الحجل — صوّت . ولعلك بهذا تكون قد دنوت من العوام اكثر ، وهم فصحاء غالباً .

عفوك إذا ذكرت هاتين الهفوتين فقط فانت قلت في هذه القصيدة :

خلع اخضرارك آيتين على فمي فتصفحي الانجيل هل هو محصب

استغفر الانجيل ان قصيدتي عربية كالشمس وهو مقرب

إن شمسك يا امين فيها كلف كثير ، ابعد الله عنا نهاية العالم ... وهذا الابتهار يدل على ما هو اكبر من الغرور . أتجر سلاحك يا صاحبي على الشاعر المفرد، على المسيح وانجيله!. لقد أزعجتم الانجيل والتوراة باستمدادكم مواضيعكم منهما . وهذه موضة قديمة . ترى هل اجدبت الحياة؟!

ويقول امين في وصف السامرية :

النبت يطلع حيث تنقل خطوها

لعل هذه الفكرة شكسبيرية ولكن الزجال البعلبكي قال في هذا ما هو اجمل من قول شكسبير وامين ، قال :

من فوق عالي التلوج من فوق عالي التلوج

واخضرّ عشب الجبل هلداستو خدّوج

— البقية على الصفحة ٧٧ —

دفتر الغزل

- التتمة من صفحة ٧ —

وبعد كل ما قلنا تظل سامرية امين قصيدة غراء على ما فيها من كلف ، ولا يضيرها التعريب الذي ضار الانجيل . انها عقلية عتيقة جداً ، وربما كان امين متأثراً هنا بهاشميته .. لا ادري كيف هذا الزعم ، وإذا كان في البيان غير العربي شين فلماذا جعل امين قصيدة باناقوس اليونانية لديرانه خرزة عين...!

فلنمش . وكما نظم ابو امين ،رحمه الله ، قصيدة ام القميص الزهر كذلك نظم امين قصيدة لام القميص الأزرق ، ولكنه قصر في شعره جدا جدا عن زجل ابيه .

واظن ان ما سبق من غزل امين يكفينا ، فقصيدته (ام موسى) تنتظرنا . ولكن قبل ان بلغناها لفتت نظرنا قصيدة تذكار فذكرني فيها قول امين :

يامن رآني وأبي مرة هذا أخي في جانبي بل أخيّ

بقول شوقي في ابيه ايضاً :

وتمشيت يدي في يده من رآنا قال عنا أخوين

إن من حق ولي العهد ان يتصرف بالتركة ، ولكن قصيدة امين — ما خلا هذا البيت — خير من قصيدة شوقي التي أسفّ فيها حين اراد ان يتصرف ، فوقع الحافر على الحافر ...

وفي اثناء مرورنا قبل بلوغنا قصيدة (ام موسى) نقرأ أخوانيات وخصوصيات يبدع فيها امين ، وخصوصاً حين يصف الغناء ومجالسه وذويه . اما في قصيدة ام موسى فما أراه عمل شيئاً بالقياس الى ابي نواس ، فاسمع كيف يقول :

يارب خمارة في ظاهر البلد ايقظتها، وجواد الصبح لم يعد

قالت : من الطارق الملهوف قلت لها بل فتية المرح المختال والصيد

وكل هذه القصيدة منسوجة على ذاك النول الذي تكسر بعد النواسي ، ولكن شوقي قال لامين في ذلك الفرمان :

او من حديث ابن هاني يعيد فيه ويبدي

فصدق امين كما صدق شوقي من قبل انه بزّ ابا نواس . ان هذه القصيدة مطبوعة على غرار مضى وقته ، وفيها يريد امين ان يكون له ظرف ابن هاني ، ولكن من اين له ولغيره ذلك ؟

وبعد هذا كله يطلع علينا شيء مما قيل في امين وماذا اجاب امين : لكل خطاب يابثين جواب . حكلي أحك لك...

واخيراً نقول ، ونحن في صدد الغزل : ليس الغزل في معانيه الطريفة ، ولا في لغته اليابسة . الغزل ملاكه عاطفة متقدة يسعرها الحرمان ، ويذكيها التحرق ويعبر عنها بكلام بسام غير جهم . وهنا لا بأس علينا من سرد نكتة توافق المقام .

كان في كسروان شاعر مفلق يحفظ الكثير من شوارد اللغة واوابدها . وإذا استعرنا له نعت امرىء القيس لحصانه ، قيد الاوابد ، لا نكون بعيدين عن حقيقة حاله . كان هذا الشاعر يحمل كل يوم قصيدة غزلية ينشدها الشيخ رشيد الخازن ، وكان الشيخ يسمعها له ، وكان كلما انتهى من تلاوة قال للشيخ : كيف رأيت ؟

فيجيبه الشيخ بتلك البساطة التي عرفت عنه : عال . سلم بوزك .

واطال الشاعر زياراته حتى صار يصبّح الشيخ بقصيدة ويمسّيه بأخرى ، ثم يسأله : كيف ؟

واخيراً قال له الشيخ بلهجته المشهورة : بدك مني الصحيح بما ابن عمو ؟ هالمرة الجواب منوش عالكيف . اسمع يامعلم بولس . كل شعرك حكي ما منو نتيجة . بتعرف كيف تغزلت انا مرة ؟

فقال الشاعر : سعادة الشيخ اعلم . تفضل .

فقال الشيخ : قلت لواحدة مثل التي اخذت عقلك :

عيونك سود وخدك وردي في شي والا منمشي

وهكذا انتهى كل شيء ، وصار الحب يحكي عنا ...

ان المتنبي الذي تغزل حتى شبع ،وابدع في معانيه كثيراً، لم يعد احد يذكر شيئاً مما قال . وكأنه ادرك ان الغزل الذي تصدّر به القصائد بعيد عن الصدق فقال :

اذا كان مدحٌ فالنسيب المقدم أكلٌ فصيح قال شعراً متيّم؟

لا يا ابا الطيب ، ان عصرنا هذا قد استقل فيه الغزل . ولشعرائنا فيه جولات حسان ، وامين نخله ابدع فيه واجاد ، ولكن فصاحة بشارة الخوري ضاحكة وفصاحة امين عابسة . ان كل عمل فني هو مخاطرة . وآخيراً نقول : لو لا سخف شوقي وطمع امين في الولاية لظل لهذا الديران أبهته ووقاره ، ولكن الطمع ، كما قالوا ، ضر وما نفع .

ماروف عبود